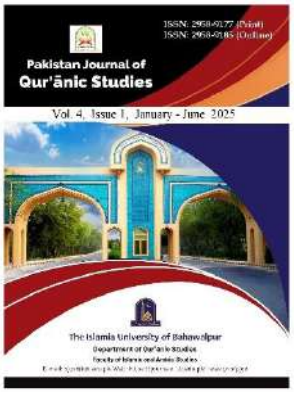

Pakistan Journal of Qur'ānic Studies

ISSN Print: 2958-9177, ISSN Online: 2958-9185
Vol. 4, Issue 1, January – June 2025, Page No. 01 - 19
HEC: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1089226#journal_result
Journal homepage: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs
Issue: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/issue/view/243
Link: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/3933
Publisher: Department of Qur'ānic Studies, The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

Title **Dimensions of Scientific Miracles in the Holy Quran and its Da'wah Goals.**

Author (s): **Dr. Meer Akbar Shah**
Assistant Professor, Department of Dawah and Islamic Culture, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad (IIUI). akbar.shah@iiu.edu.pk

Received on: 20 May, 2025
Accepted on: 05 June, 2025
Published on: 30 June, 2025

Citation: Dr. Mir Akbar Shah. 2025. " مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتوظيفاته الدعوية: Dimensions of Scientific Miracles in the Holy Quran and Its Da'wah Goals". *Pakistan Journal of Qur'ānic Studies* 4 (1):1-19. https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/3933.

Publisher: The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan.

All Rights Reserved © 2025 This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتوظيفاته الدعوية

Dimensions of scientific miracles in the Holy Quran and its Da'wah Goals

Dr. Meer Akbar Shah

Assistant Professor, Deptt. of Dawah and Islamic Culture, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad, akbar.shah@iiu.edu.pk

Abstract:

The Qur'an deals with various aspects of the universal phenomena, such as Sky, Earth, Sun, Moon, water, mountains, Man, birds, cattle etc. All these things include scientific miracles at all stages of what man does not understand and proven by the Modern Science, but among them the Qur'an had been discussed fourteen centuries ago, in this sense, these revealed miracles can be used as Qur'anic proofs for Da'wah to Allah, and one of the modern da'wah means that many non-Muslims admire and have become the reason for their acceptance of Islam.

This topic is one of the most important topics of Da'wah due to the role and importance of modern methods in Da'wah, and it is necessary to invite non-Muslims on the way that corresponds to the age in which we live.

The miracles of our Prophet Muhammad peace be upon him, have various aspects, the most important aspect is rhetorical according to the eloquent level of the Arabs in that time,

But miracles connected to the universe were not known except in this era in which modern science emerged.

The purpose of this research is to identify these cosmic areas in Qur'an and to know the aspects of their miracles, and Da'wah goals of these miracles.

Many books have been written about scientific miracles in the Holy Qur'an and the Sunnah, but they focused on the statement of scientific miracles only without employing them in the field of Da'wah except for some implicit references, they are general studies, and this study is specific to cosmic verses, and focused on the Da'wah side only.

It is not intended to describe the scientific miracle in these cosmic verses in detail, but rather to describe it in general by mentioning the areas and aspects of the miracle and the Da'wah dimensions and goals of these miracles.

Keywords: *Holy Quran, Scientific Miracles, Universal Phenomena Dimensions, Da'wah Goals, Da'wah Impacts.*

Article Link: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/3933

التمهيد:

يتناول القرآن الجوانب المختلفة من مظاهر الكون، مثل السماء، الأرض، الإنسان، الماء، الجبال، الطير، الأنعام وغيرها، وهذه الأمور تتضمّن عجائب علمية في كلّ مراحلها ما لا يفهمه الإنسان وأثبته العلم الجديد، ولكن بيّنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً، وكلّ هذه الأمور كشفت في هذا العصر وبناءً على هذا السبب يمكن توظيف هذه الحقايق في سبيل نشر الدعوة إلى الله. ويكون هذا التوظيف باباً من أبواب الدعوة إلى الله وأحد الوسائل الدعوية العصرية التي يُعجب كثيرا من غير المسلمين وأصبحت سبب إسلامهم.

وهذا الموضوع من أهم موضوعات الدعوة لأن مسار الدعوة إلى الله على الأساليب العصرية الدعوية، ولابدّ من دعوة غير المسلمين على الطريقة التي يتوافق مع العصر الذي نعيش فيه، وهذا أمر بديهي كما نفهم أن معجزات الأنبياء كانت موافقة نفس العلوم التي برع فيه قوم هذا النبي، فتعددت المعجزات واختلفت لتناسب الأقوام.

أما معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تعدّدت وكثرت، وأهمّها إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، فكان على لسان النبي القرآن العظيم المليء بالإعجاز اللغوي والعلمي والغيبي، وأكثر هذه المعجزات العلمية لم تكن معروفة إلا في هذا العصر الذي تتجلّي فيه العلوم الحديثة.

فالغرض من هذا البحث بيان هذه المجالات الكونية ومعرفة جوانب الإعجاز فيها، والأغراض الدعوية للإعجاز العلمي فيها.

تعريف الإعجاز العلمي:

إن القرآن تحدّى البشرية وقت نزوله، وسيظلّ كذلك إلى قيام الساعة، فلا بدّ أن يستمرّ إعجازه، لكن كيف يتحدّى في هذا العصر الذي ساد فيه العلم التجريبي، وقد تحدّث القرآن عن حقائق متعلقة بالكون لم تكن معروفة [1]، واكتشفها العلم الحديث، وهو المقصود بالإعجاز العلمي، ليكون معجزة من هذا الجانب.

يقول العلامة رشيد رضا عند بيان دلائل إعجاز القرآن: "أنه يبين الحقائق التي لم يكن يعرفها أحد من المخاطبين بها في زمن تنزيله" [2].

وعرّفه عبد الكريم الخطيب: "الإعجاز الذي يطالع الناس في كلّ آية من آياته، الراصدة لأحداث الحياة، وتطور العقل البشرى، المتحدية للإنسانية في كلّ جيل من أجيالها، وفي كلّ وجه من وجوهها"[3].

1- ويشير إلى هذا الإعجاز العلمي قوله سبحانه: [سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ] فصّلت: 53.

2- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 398/8.

3- عبد الكريم يونس الخطيب، القاهرة، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، 480/2.

وعرّف الشيخ ابن عاشور الإعجاز العلمي: "ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن" (4).

وعرّفه الشيخ عبد المجيد الزنداني: "هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول" (5).

لكنّ ما قاله الشيخ ابن عاشور وعبد الكريم في التعريف أعمّ، ويدخل فيه الحِكَم والمعاني والجانب العقلي في الآيات القرآنية، وتعريف الشيخ الزنداني أخصّ، ومقصور بالجانب العلمي التجريبي فقط.

حكم التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

يرى بعض العلماء أن الإعجاز القرآني مقصور على وجه واحد هو الإعجاز اللغوي دون سواه، وذهب إلى هذا الرأي من المتقدمين الإمام الشاطبي، ومن المتأخرين الشيخ أمين الخولي وارتضاه الشيخ محمد حسين الذهبي. ولكن أكثر العلماء وخاصة في العصر الحديث يرون أن في القرآن والسنة إعجازا علميا، وممن ذهب من المتقدمين إلى هذا الرأي الإمام الغزالي والإمام الرازي. وهذا الرأي هو الراجح والصواب (6).

المبحث الأول: مجالات كونية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الأول: النظر في ملكوت السماوات ورفعها

الثاني: التفكّر في مدّ الأرض وبسطها ونقصها

الثالث: النظر إلى خلق الإنسان أطوارا

الرابع: النظر والتأمل في خلق النبات والثمرات

الخامس: التأمل في الطير الصافّات المسخّرات

السادس: الرؤية إلى إنزال المطر ومنافعه

السابع: الرؤية والنظر إلى نصب الجبال واختلافها

الثامن: النظر والرؤية إلى تنوع الحيوانات ومنافعها

المبحث الثاني: مظاهر كونية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الأول: خلق أمور كونية

الثاني: النظام في أمور كونية

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر التونسي، الدار التونسي، تونس، 1984هـ، 104/1.

5- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن ص 14.

6- ينظر: د. فضل حسن عباس، التفسير والمفسرون، 571/1، 572، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016.

الثالث: الاختلاف في أمور كونية

الرابع: التغير في أمور كونية

الخامس: المنافع في أمور كونية

المبحث الثالث: أهداف دعوية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الأول: التأمّل والتفكّر في الخلق

الثاني: الاستدلال على الخالق ومعرفة الله

الثالث: الاتعاظ والاستبصار على الآخرة

الرابع: الهداية وإقامة الحجة على الناس

المبحث الرابع: فوائد دعوية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الأول: استقرار الإيمان وترسيخ العقيدة

الثاني: التوسع في فهم الآيات القرآنية

الثالث: استمرار الإعجاز القرآني بمعجزات كونية

الرابع: إعمال الفكر في معطيات الكون للثقافة وكمال الحياة

الخامس: اعتبار المؤمن العارف بأنظمة كونية

المبحث الأول: مجالات الإعجاز العلمي في أمور كونية:

وجّه القرآن الكريم الإنسان إلى البحث في مجالات الكون، والتعرف على خواصّه وأسراره، ودعا إلى النظر والتأمل فيها باعتبارها آيات من عظيم خلق الله ومعالم امتنانه على بني آدم يعرفون بها توحيد البارئ المختار وصفاته العظيمة.

النظر في ملكوت السماوات:

السماوات من الأشياء الكونية العظيمة، التي استدعى القرآن النظر فيها، فهي من آيات خلق الله العظيمة الدالة على قدرة الخالق، وملكوت أي الملك العظيم [7].

والسماء أعظم أمور الكون وأوسعها مجالا للإنسان للتفكّر، وقد جاء ذكر السماء في القرآن حوالي مئة مرة، حيث يدعو القرآن إلى النظر في خلقها ورفعها ووسعتها وأبوابها وبروجها ونجومها، وكلّ ما يتعلق بها.

7- انظر: الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة، أبو القاسم، المعروف بتاج القراء، دار القبلة، جدة، 782/2.

فيدعو القرآن إلى النظر في ملك الله العظيم المشتمل على السماوات والأرض، وكلّ ما خلقه من شيء: [أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ] (8).

يقول الشيخ ابن عاشور: "ففي الآيات دعوة إلى النظر في عظيم مُلك الله تعالى، ودقائق أحوالها الدالة على عظيم قدرة الله تعالى" (9).

كما يدعو إلى الرؤية في خلق سماوات طباقا: [أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً] (10). ويخبر عن وسعتها: [وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] (11). ويتحدّث عن رفعه السماء بغير عمد: [اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] (12).

التفكّر في مدّ الأرض وبسطها ونقصها:

الأرض خلق عظيم يشاهدها الإنسان، وهو مجال كبير من مجالات التفكّر بكلّ ما فيها وبسطها وتسطيحها للحياة عليها، وورد ذكر هذا الكائن العظيم المشاهد في القرآن الكريم في مئتي موضع. وفي الآيات المتعلقة بالأرض يدعوا القرآن إلى التفكّر في خلق الأرض، ومدّها وتسخيرها ومنافعها ونقصها من أطرافها، وهو من المجالات العظيمة الواسعة ليتفكّر فيها الإنسان بكلّ ما يتعلق بها من الجوانب.

فيتحدّث عن قدرة الباري عز وجلّ وامتنانه بمدّ الأرض وتسطيحها: [وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كلّ الثَّمَرَاتِ] (13).

ويُخبر عن امتنانه على بني آدم بجعل الأرض مهدا وفراشا، ويدعو إلى التفكر في تسطيح الأرض: [وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ] (14).

ويقول عن إنعامه عليهم بجعله فيها سبلا: [وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] (15). ويدعو إلى صفة الأرض كفاتا: [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَأَمْواتاً] (16)، وتفسير كونها كفاتا: أي ضامّة تضمّ الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها. (17)

8- الأعراف: 185.

9- ابن عاشور، التحرير والتنوير 196./9

10- نوح: 15. ودعا إلى النظر فيه في الأعراف: 185.

11- الذاريات: 47.

12- الرعد: 2.

13- الرعد: 3.

14- الذاريات: 47. وقوله: وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ] الغاشية: 17- 20.

15- الزخرف: 10.

16- المرسلات: 25، 26.

النظر إلى خلق الإنسان:

خلقُ الإنسان من آيات الله العظيمة، وهو أكرم وأعظم مخلوقاته في الكون، وورد ذكر بتسميات مختلفة، مثل: الإنسان، الإنس، الناس، البشر، ونفس الإنسان وذاته أقرب المجالات لتأمل الإنسان، ولذلك القرآن يدعو للنظر في النفس البشري من نواحي متعددة؛ خلقه أطوارا، وفضله كرامة، وجعله خليفة.

وجّه القرآن الكريم الإنسان إلى البحث في خلقه وبدئه وأطواره وما فيه من آيات، فذكّر الإنسان بآيات في خلقه وما بثّ من دابة في الأرض: [وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (18).

قال الشيخ الشعراوي: "فكأنه سبحانه قد جعل نفسك مقياساً، إنك ستعلم أحوالها وأنك سَتُهْدَي، إلى سرّ جديد في هذه النفس، هذا السرّ لم يعرفه الأولون، لكنك حين تتقدّم في البحث العلمي وآلات السبر وآلات الاختبار تتعرف وتكتشف هذا الجديد" (19).

واستدعى النظر في أصل خلقه: [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ] (20). ووجّهه إلى النظر في بداية خلقه: [فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ] (21)، كما عدّ نعمته بخلقه أطوارا في بطن أمه: [يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ] (22).

النظر والتأمل في خلق النبات والثمرات:

النبات أهمّ الكائنات الحيّة بعد الإنسان من ناحية الكثرة والتنوّع والعجائب، والنبات أهمّ نِعم الله آية لمعرفة الخالق، وأكثرها نفعا لبقاء الإنسان. فهو إحدى مجالات النظر والتأمل فيه، وهو إحدى آيات العبرة للإنسان.

وأشار سبحانه إلى ما أنبت في الأرض من كثرة أصناف النبات وما فيها من آيات قدرته العظيمة: [أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ] (23).

وأخبر عن صنفين إثنين من كلّ الثمرات وما فيها من آيات لقوم يتفكرون: [وَمِنْ كلّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (24).

17- من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه، راجع: الزجاج، معاني القرآن، ، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، حققه عبد الجليل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م/1408هـ.

18- الجاثية: 4.

19- تفسير الشعراوي ص 2594.

20- الطارق: 5، 6.

21- العنكبوت: 20.

22- الزمر: 6. وقال: [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] نوح 13- 16.

23- الشعراء: 7.

وفي المراد بالزوجين في الثّمرات أقوال: أحدها: الذكر والأنثى، أو المراد صنفان في الطعم حلو وحامض، أو في اللون أو في القدر، وغير ذلك[25]. ويقول تعالى: [وَمِنَ النَّخْلِ..انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ] [26].

النظر والرؤية إلى خلق الحيوانات واختلافها ومنافعها:

عالم الحيوان بأنواعه المختلفة يمثّل جزءا مهما في الحياة الطبيعية في الأرض، فالحيوانات تُساعد في نظام الحياة بما تشتمل عليها من منافع الغذاء والركوب والسفر ومنتجاتها الأخرى من جلودها وأصوافها.

وقد تناول القرآن أنواعا من الحيوانات من جوانب وأغراض مختلفة، فتارة تناولها بشكلّ عام، وتارة تحدّث بشكلّ تفصيلي عن أنواعها الخاصة، مثل الإبل، وتارة ذكر بعض الحيوانات بإشارات سريعة مثل الخيل والبغال والحمير، وصرّح القرآن الكريم بأنّ الله تعالى خلق الأنعام، وملّكها للإنسان، ثم ذلّلها للركوب، والأكلّ، والمنافع.

فدعا إلى النظر في خلق الإبل: [أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ] [27]. وأخبر عن اختلاف الناس والدّواب والأنعام: [وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ] [28].

ودعا إلى الرؤية والتفكر فيما خلقه من الأنعام وتسخيرها للبشر وتذليلها، وما فيها من المنافع [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكلّونَ وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَمَشارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ] [29].

ومعنى قوله: أَوَلَمْ يَرَوا أي: لو تفكروا وتأملوا لعلموا أنهما كذا [30].

التأمل في الطير الصافّات المسخّرات:

يعتبر عالم الطيور أحد أهم المخلوقات في هذا الكوكب، وأهميتها من عدة نواحي؛ من ناحية الغذاء للبشر والحيوان، ومن ناحية تحقيق التوازن للبيئة، ووسيلة التواصل للإنسان في القديم.

ويتحدّث القرآن عن أنواع الطيور في جوانب وأغراض مختلفة، من تسبيحها ونُطقها، وبعض أحوالها وأدوارها في الحياة، لكن أبرز هذه الجوانب هو خلق الطيور بخِلقة تصلح للطيران، وتسخير جوّ السماء لها.

24- الرعد: 3.

25- الماوردي، النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، حققه السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، 93/3.

26- الأنعام: 99.

27- الغاشية: 17.

28- فاطر: 28.

29- يس: 71-74. وأخبر عن منافع الركوب والزينة للخيول وغيرها في سورة النحل: 8.

30- الماوردي، النكت والعيون، 340/7.

أخبر الله عن تسخيره الطير في جوّ السماء وأنه من الآيات الدّالة على قدرته: [أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرحمن] (31).

قال الزمخشري في معنى تسخير الجوّ: "مذلّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك، والجوّ: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلوّ"(32).

الرؤية إلى إنزال الماء ومنافعه:

الماء نعمة كبرى التي أنعم الله بها على البشر، فخلق منه كلّ شيء حيّ وبه أقام الحياة وقسّم الأرزاق. فالماء أساس الحياة، وسرّ البقاء، لكنّ أداء هذا الدور الكبير في الحياة يتوقّف على دورة المياه والحركة المستمرة على سطح الأرض وفوقها وداخلها، والمطر جزء مهم في هذه الدورة المطلوبة للماء.

وقد ورد ذكر الماء والمطر في القرآن الكريم في عشرات الآيات، مع الدعوة بالتفكّر في هذه الآيات، واستشعار رحمة الله بعباده إذ سخّر لهم هذا.

فدعا إلى الرؤية إلى إنزال الماء وتخزينه في الأرض وإخراج الزروع به: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً .... إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ] (33).

يقول العلامة رشيد رضا: "ونزول المطر من الأمور المحسوسة التي لا تحتاج إلى نقل ولا نظر عقل، وقد شرح كيفية تكوينه ونزوله العلماء الذين تكلّموا في الكائنات، ووصفوا بالتدقيق الآيات المشاهدات، ولم يخرج شرحهم الطويل عن الكلّمة الوجيزة في بعض الآيات التي ذكر فيها المطر" (34).

الرؤية والنظر إلى نصب الجبال وإرسائها واختلافها:

الجبال خلق عظيم في المخلوقات، ومحور كبير في الحياة، فهو فاعل رئيسي في تثبيت الأرض وتوازنها، وعامل مهم في جلب الأمطار وتخزين المياه على سطحها وداخلها، كما أن الجبال مصدر غنيّ للمنافع النباتية والمعدنية لحياة الإنسان.

وتحّدث القرآن عن الجبال في مواضع كثيرة؛ فتحدّث عن وظائفها وخصائصها، ودعا إلى النظر والتأمل في كيفية خلقها، وأشار إلى عظيم قدرة الله في تكوينه لها.

وقد أخبر سبحانه عن نصب الجبال: [وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ] (35). وأشار إلى اختلاف الجبال وآياتها: [وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ] (36).

31- الملك: 19، وأردف هذا التسخير في النحل: 79 بقوله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

32- الزمخشري، الكشاف، أبو القاسم، محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، 583/2.

33- الزمر: 21. ودعا إلى النظر إلى أن المطر من آيات رحمة الله: [فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ] الروم: 50.

34- رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، 49/2.

يقول الدكتور زغلول: "وقد وصف القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا- وبكلّمات محدّدة- كلّا من الشكلّ الخارجي للجبل، وارتفاعه فوق سطح الأرض، وامتداداته الهائلة بداخلها، ..... قبل أن يدرك الإنسان أي قيمة لوجود الجبال على سطح كوكبنا، وهي القيمة التي لم يبدأ الإنسان في تصوّرها إلا في العصر الراهن"[37].

المبحث الثاني: مظاهر للإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

خلق أمور كونية:

كلّ ناظر ومتأمل في الكون يعرف عظيم قدرة الله فيه على إنشائه وحسن تدبيره، وأنّ هذا الكون بكلّ ما فيها لم يُخلق عبثا. فخلق هذه الأمور الكونية مظهر أساسي من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

والآيات التي تتحدّث عن خلق الكون وما فيه من مخلوقات كثيرة جدّا، كما أن هناك عدد ليس بالقليل تستدعى التأمل والتفكر في خلقها، والدافع لهذا التفكر هو التعرف على عظم هذه المخلوقات وعجائبها، وبالتالي المعرفة على عظمة الخالق وإبداعه في صنعه وخلقه[38].

والقرآن يتناول الحقائق العلمية عن خلق الأشياء المختلفة حيث خلق الأرض ودحاها وخلق السماوات وسوّاها، وخلق الشمس ضياءا والقمر نورا والإنسان والحيوانات والجمادات.

ويدعوا إلى النظر في خلق السماوات والأرض: [قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] [39].

ويقول سبحانه وتعالى عن مظهر خلقه في الشمس والقمر وغيرهما: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] [40].

وهذه الحقائق عن الخلق في سائر أصناف المخلوقات أدلة آفاقية دالة على خالقية الله وربوبيته، وعلى كماله في صفاته، وأنها آيات للعالِمين، كما أن مجرّد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دالّ على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله [41].

35- الغاشية: 19.

36- فاطر: 27.

37- الزغلول، د. راغب النجار، المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة العاشرة، 2008م/1429هـ، 30/3.

38- مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، أ. مروان وحيد شعبان، ص 4، بحث مقدم في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي بدولة الإمارات، دبي، 2004م/1425هـ.

39- يونس: 101.

40- يونس: 5.

41- ملخصا، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م/1420هـ، ص 358.

يتحدّث الإمام الرازي عن ضرورة التفكر للإنسان في حالة انفراده، فيقول: "وَمِنْ شَأْنِ الْإِنْسَانِ إِذَا انْفَرَدَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي الْأَشْيَاءِ، ... وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يُشْغِلَ بَالَهُ بِالْفِكْرَةِ، فَإِذَا فَكَّرَ فِي ذَلِكَ الْحَالِ وَقَعَ بَصَرُهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَلَى الْجَمَلِ الَّذِي رَكِبَهُ، فَيَرَى مَنْظَرًا عَجِيبًا، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى فَوْقُ لَمْ يَرَ غَيْرَ السَّمَاءِ، وَإِذَا نَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا لَمْ يَرَ غَيْرَ الْجِبَالِ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتُ لَمْ يَرَ غَيْرَ الْأَرْضِ" (42).

النظام في أمور كونية:

الأمور الكونية مع كثرتها واختلافها كلّها على نظام واحد لا يختلّ، وهو نظام بديع لا يمكن أن يضطرب ولا يتصادم، والناظر في أشياء الكون يلاحظ هذا الانسجام والتناسب القائم بين مخلوقات الكون، ولا يعقل أن يكون هذا الكون العظيم بهذا النظام البديع بدون خالق وصانع، أو يكون الكون خالقًا لنفسه.

يشير جلّ وعلا إلى صنعه الكون وأشيائه التي أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب(43): [صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كلّ شَيْءٍ] (44).

ويُخبر عن تعاقب الليل والنهار بحساب معلوم: [لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ] (45).

يقول العلامة ابن عطية متحدّثا عن حكمة الله في القسم بـ القمر والليل والصبح أنها على نظام واحد تدلّ على قدرة الله وأنه مالك الكلّ، فيقول: "ثم أقسم ب الْقَمَرِ، تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه وقدرة الله تعالى في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل" (46).

ويقول د. وهبة الزحيلي: "إن في إبداع السموات والأرض، ... وما فيها من نظام بديع .... لأدلة دالة على وجود الله وكمال قدرته وعظمته ووحدانيته" (47).

42- الرازي، مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، 145/13.

43- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المحقق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، 355/3.

44- النمل: 88.

45- يس: 40.

46- ابن عطية، المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحقق: عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، 397/5.

47- الزحيلي، التفسير المنير، د وهبة بن مصطفى، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ، 207/4.

الاختلاف في أمور كونية وتنوعّها:

إن خالق هذا الكون ربّ العالمين حيث خلق المخلوقات من الإنس والدّوابّ والطير والنبات على أصناف متنوعة، في طبائعها وأشكالها وألوانها وخصائصها، وهذا الاختلاف والتنوع مظهر من مظاهر الخلق، وعلامة من عجائب الكون، وبالتالي يقتضي النظر والتأمل فيها.

ومن أمثلة ذلك تنوع نبات الأرض وثمراتها المشار إليها في قوله تعالى: [يُنبتُ لكم به الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والأعناب] [48]، فإنّ من تأمل الحبة تقع في الأرض يابسة، ويصل إليها ماء، فينشق أعلاها، ... ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار، والأكمام والثمار، ويشتمل كلّ منها على أجسام مختلفة الأشكال والطبائع، مع اتحاد المواد، عَلِمَ أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار[49].

وكذلك أشار سبحانه إلى إخراج النبات المتنوع بالمطر في قوله: [وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى] [50]، وذكر سبحانه وتعالى أصناف الدوّابّ في قوله: [وَاللَّهُ خَلَقَ كلّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ] [51].

كما تُنبّه الآية: [سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كلّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ] على التفكّر في بديع صنعه فقال: تنزيها لمن خلق الأشياء المتشاكلّة في الأجزاء والأعضاء، من النبات، ومن أنفسهم، ومن الأشياء الأخرى التي لا يعلمون تفصيلها، كيف جعل أوصافها في الطعوم والروائح، في الشكلّ والهيئة، في اختلاف الأشجار في أوراقها وفنون أغصانها وجذوعها وأصناف أنوارها وأزهارها، واختلاف أشكال ثمارها[52].

ويشير الحافظ ابن كثير إلى ما نبّه به سبحانه على التفكر عند قوله: [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ] [53]: يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق [54].

ويبين اختلاف هيئات الإنسان وأشكالها قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ] [55].

48- النحل: 11.

49- ذكره صاحب البحر المديد، أبو العباس أحمد بن محمد الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة 1419 هـ، 12/4، مختصرا من تفسير البيضاوي 388/1.

50- طه: 54.

51- النور: 45.

52- القشيري، لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، 216/3.

53- الروم: 8.

54- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1999م/1420هـ، 305/6.

قال الشيخ الشعراوي: "والتصوير في الرحم هو إيجاد المادة التي سيوجد منها الإنسان على هيئة خاصة؛ هذه الهيئة تختلف نوعيتها: ذكورة وأنوثة. والذكورة والأنوثة تختلفان أشكالاً[56].

المنافع في أمور كونية:

سخّر الله للإنس كلّ ما في الكون من أمور علوية سماوية من الشمس والقمر والنجوم، أو سفلية أرضية من المعادن والنبات والحيوان والبحار، وهذا التسخير لهم لينتفعوا بما خلق فيها في مصالح الدنيا، وتسخير ذلك كلّه امتنان للإنسان يستوجب الشكر للخالق المنّان، ويقتضي التفكر في عجائبها الدّالّة على معرفة الخالق ووحدانيته.

قال الخازن عند قوله: [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً] : "يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار، والمعنى: كيف تكفرون بالله، وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا، أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته، وأما مصالح الدنيا، فهو الانتفاع بما خلق فيها" [57].

وبيّن الله جلّ وعلى أن تسخيره الأنعام لبني آدم، نعمةٌ على العباد من إنعامه في قوله: {لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} وجاء تفصيل هذا الامتنان في آيات متعددة مثل قوله تعالى: [أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكلّونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ] [58].

وقال الشيخ ابن عاشور: "انتقال من الامتنان على الناس بما سخّر لأجْلهم من نظام العوالم العليا والسفلى، وبما منحهم من الإيجاد وتطوّره وما في ذلك من الألطاف بهم وما أدمج فيه من الاستدلال على انفراده تعالى بالتصرف فكيف ينصرف عن عبادته الذين أشركوا به آلهة أخرى، إلى الامتنان بما سخّر لهم من الإبل لمنافعهم الجمّة خاصّة وعامّة" [59].

المبحث الثالث:

أغراض وأهداف الإعجاز العلمي في أمور كونية:

يقصد القرآن الكريم ببيان الإعجاز العلمي أغراضا وأهدافا منها: هداية الناس وإقامة الحجة عليهم، والاعتبار والاتعاظ على وجود الخالق وتوحيده، والاستبصار والتذكرة على البعث ووقوع الآخرة.

55- آل عمران: 6.

56- تفسير الشعراوي ص 817.

57- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل 34/1.

58- يس 71- 73. وذكر سبحانه امتنان الأنعام على البشر في سورة النحل 5-7، وسورة غافر: 79- 81.

59- ابن عاشور، التحرير والتنوير 214/24.

الهداية وإقامة الحجة على المدعوين:

القرآن هدى للناس، ومن طبيعتهم أنهم ينظرون في العجيب من الأشياء، فلذلك أنزل الله فيه حِججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائقها، ليتبيّن لهم الحقّ وليقرّوا به، فكانوا على أمرين: منهم من نظر وتفكر وعرف أنها بصائر، لكنه عاند ولم يعمل بها، ومنهم من ترك النظر فيها؛ فعمي عنها، ما لو تفكروا ونظروا لتبين لهم.

وقد استخدم القرآن لهذه الإفادة السامية بمصطلح البصيرة، بمعنى الحجة للعقول في دلائل الإيمان بالتوحيد والرسالة والآخرة، وقد ورد هذا المصلح في مواضع منها: قوله: (بصائر من ربكم)، وقوله: (قد جاءكم بصائر من ربكم).

قال تعالى: [هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] (60).

والمراد بِ بصائر حجج بيّنة، قال الزمخشري: "هذا بَصائِرُ هذا القرآن بصائر مِنْ رَبِّكُمْ أي حُجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى، أو هو بمنزلة بصائر القلوب"(61).

قال الإمام الرازي عند هذه الآية: "أصل البصيرة الأبصار، ولما كان القرآن سبباً لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب، وثانيها: قوله: وَهَدًى، والفرق بين هذه المرتبة وما قبلها أن الناس في معارف التوحيد والنبوة والمعاد قسمان؛ أحدهما الذين بلغوا في هذه المعارف إلى حيث صاروا كالمشاهدين لها، وهم أصحاب عين اليقين، والثاني الذين ما بلغوا إلى ذلك الحد إلا أنهم وصلوا إلى درجات المستدلين، وهم أصحاب علم اليقين، فالقرآن في حقّ الأولين، وهم السابقون بصائر، وفي حقّ القسم الثاني، وهم المقتصدون هدى، وفي حقّ عامة المؤمنين رحمة"(62).

ولذلك يدعو القرآن إلى الاهتداء إقامة للحجة على الناس: [قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] (63).

الاعتبار والاتعاظ (بالأنظمة الكونية) على وجود الخالق وتوحيده:

القرآن يدعو إلى النظر في عظيم مُلك الله تعالى، دقائق أحوالها الدالة على عظيم قدرته سبحانه، واستحقاقه بالإلهية دون غيره، وأنه المنفرد بالصنع فهو الحقيق بالإلهية، فلو تأملوا في ذلك باعتبار وتدبر؛ لعلموا أن خالق ذلك كلّه ليس إلا إله واحد (64).

60- أعراف: 203.

61- الطبري، جامع البيان 34/13، والزمخشري، الكشاف 192/2.

62- الرازي، مفاتيح الغيب 83/15.

63- الأنعام: 104.

64- مختصرا من ابن عاشور، التحرير والتنوير 196/9.

ومن هذه الآيات قوله: [قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ] (65)، وقوله: [أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا] (66).

هذه الضرورة إلى التفكر في آيات الكون الدالة على التوحيد يشير إليها الإمام الطبري بقوله: "وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السماوات، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار، وغير ذلك من آيات الأرض ...، وفيما دلّت عليه من توحيد ربّها" (67).

ويقول الخازن: "انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يعني: ماذا خلق الله في السموات والأرض من الآيات الدالة على وحدانيته، ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وإنزال المطر من السماء وفي الأرض الجبال والبحار والمعادن والأنهار والأشجار والنبات كلّ ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها" (68).

وقال الزمخشري: "نبّههم على النظر في أنفسهم أوّلا، لأنها أقرب منظور فيه منهم، ثم على النظر في العالم وما سوّى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه"(69).

ويقول الشيخ الشعراوي: "إذن فالآيات قسمان: منظور ومقروء، المنظور: كلّ الكون، والمقروء: هو القرآن، ... لقد جاء الرسول بآيات مقروءة ليلفت الناس إلى الآيات المنظورة، وبتلك الآيات المنظورة يكون العجب من دقة خلق الكون؛ فينتهي الإنسان إلى الإيمان بِمَن خلق هذا الكون" (70).

الاستبصار والتذكرة على البعث ووقوع الآخرة:

يقصد القرآن الكريم من بيان الإعجاز العلمي في المخلوقات الدعوة إلى التذكرة بآياتها الدالة على إحياء الموتى ليستيقنوا على البعث والجزاء ولقاء ربهم يوم القيامة.

قال أبو حيان: "ثُمَّ قَرَّرَهُمْ تَعَالَى عَلَى النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ وَغَرَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ" (71).

وقد أشار القرآن إلى هدف الاستبصار والتذكرة في عدة مواضع، من هذه الآيات قوله: [قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا] (72).

65- يونس: 101.

66-: نوح 13- 16.

67- الطبري، جامع البيان 285/16.

68- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل 467/2.

69- الزمخشري، الكشاف 618/4.

70- تفسير الشعراوي ص 1263.

71- أبو حيان، البحر المحيط 384/10.

ومنها قوله سبحانه: [أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ... وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكلّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] (73).

والمقصود من ذلك الدعوة إلى الإيمان بعقيدة الآخرة وما تشتمل عليها من بعث الموتى والحشر والحساب في مواضع متعددة.

يشير الحافظ ابن كثير إلى استدعاء النظر عند قوله: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ}: "يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة"(74).

ويقول تعالى: [اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ](75).

قال الماتريدي عند تفسير الآية السابقة: "وفيه دلالة قدرته على البعث؛ لأنه ذكر هذا ثم قال: (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) أي: من قدر على رفع السماء بلا عمد؛ لقادر على إعادة الخلق؛ وبعثهم، وإحيائهم بعد الموت" (76).

ويُخبر سبحانه عن خلقه الأشياء العلوية والسفلية وأنظمتها، ثمّ يُردفها بأن يوم القيامة موعد مقدّر للبعث: [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا .... وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا .... إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا] (77).

المبحث الرابع: فوائد دعوية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

اعتبار المؤمن العارف بأنظمة كونية:

وصف الله أهل الإيمان العارفين بالتفكر العميق والنظر الدقيق، وبهذا الفكر والنظر يعتبر العارف بالأنظمة المتضمنة في الآيات الكونية مثل أنظمة الأجرام من السماء والأرض والقمر والنجوم، وأنظمة الحيوانات والنباتات، وأنظمة الليل والنهار، وفي كلّ ذلك آيات ليعتبروا بها ويدخلوا في أمورهم بمنهج الله لاستقامة شؤونهم وأحوالهم؛ لأن إدارة الأمور بمنهج الله تؤدي إلى مقصود كما ينبغي.

72- الأنعام: 104.

73- ق: 6- 10.

74- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 305/6.

75- الرعد: 2.

76- تفسير الماتريدي 302/6.

77- النبأ 6- 16.

يتحدّث الشيخ الشعراوي عن ضرورة هذا الاعتبار وفائدته، فيقول: "وانظر كلّ قضية في الكون، .... فإن دخلت في كلّ مسألة بمنهج الله يستقيم الكون تماماً. ولذلك يُلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى النظام الأعلى في كونه ...، كلّ تلك الكائنات نجد أمورها تسير بانتظام، .... فإن أردتم أن تستقيم أموركم في شئونكم وأحوالكم الاختيارية فادخلوا فيها بمنهج الله؛ لأن الأشياء التي تُدار بمنهج الله بدون أن يتدخلّ فيها البشر تُؤدي مهمتها كما ينبغي "(78).

مثّل صاحب البحر المديد للاعتبار بنظام النحل: "إنما كان العسل فيه شفاء للناس؛ لأن النحل ترعى من جميع العشب، فتأخذ خواص منافعها. وكذلك العارف الكامل يأخذ النصيب من كلّ شيء، ويعرف الله في كلّ شيء، فإذا كان بهذه المنزلة، كان فيه شفاء للقلوب" (79).

إعمال الفكر في معطيات الكون للتثقف والوصول إلى كمال الحياة:

إن مهمة التفكر التي يدعو إليها القرآن يُوجب على الإنسان أن يُعمل فكره في أمور الكون، ويبحث في معطياته، ويستنبط منها أمورا لا يعرفها، ويتثقّف في مجال المعرفة بإثراء ما يفيده من المعلومات، وبذلك يرتقي في سلّم العلم، ويصل إلى كمال الحياة.

يقول الشيخ الشعراوي عن إعمال الفكر في الكون: "على الإنسان أنْ يُعمِلَ فكره في مُعْطيات الكون، ثم يبحث عن موقفه من تلك المعْطيات" (80).

ويشير الشيخ الشعراوي إلى الهدف من الفكر بقوله: "أنْ تُفكّر فيما أنت بصدده لتستنبطَ منه شيئاً لستَ بصدده، وبذلك تُثري المعلومات؛ .... لأن الارتقاءات التي نراها في الكون هي نتيجة التفكُّر وإعمال العقل. لذلك فالحق سبحانه يُنبّهنا حينما نمرُّ على ظاهرة من ظواهر الكون، ألا نمرّ عليها غافلين مُعرضين، بل نفكّر فيها ونأخذها بعين الاعتبار، .... وكأن الحق سبحانه يقول لنا: لقد أعطيتكم ضروريات الحياة، فإنْ أردتُم ترفَ الحياة وكمالياتها فاستخدموا نعمة العقل والتفكير والتدبّر لتصلوا إلى هذه الكماليات"(81).

استمرار الإعجاز القرآني في الجانب العلمي:

القرآن معجزة الرسول، وهو آية خالدة من عند الله بما يشتمل عليه من أحكام، وقضايا علمية، ومعجزات كونية، فلن تنقضي عجائبه، بل هي آية معنوية مستمرّة إلى يوم القيامة، ومن هذه الآيات عجائب التي أشار إليها القرآن في عدد من المجالات.

78- تفسير الشعراوي ص 2735.

79- ابن عجيبة، البحر المديد 4/ 56، 57.

80- تفسير الشعراوي، ص 4856.

81- تفسير الشعراوي ص 4962.

يتحدّث الشيخ ابن عاشور عن هذا الجانب العلمي واستدعاء النظر فيه ليكون معجزة علمية: "ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة، وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي"(82).

ويذكر الشيخ الشعراوي هذا الاستمرار للإعجاز القرآني في آيات كونية: "جاء القرآن – إذن – معجزة لرسول الله وهو آية معنوية دائمة أبداً بما فيه من أحكام ونظم، وآيات كونية وقضايا علمية، وإذا كان الخلق يختلفون في اللغات فما تضمنه القرآن من معجزات لن تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة"(83).

التوسّع في فهم الآيات القرآنية:

إنّ استخدام الإعجاز العلمي في تفسير آيات القرآن سيجعل معاني الآيات الكونية أكثر توسّعا ووضوحاً، أما أصل تفسير آيات القرآن فسيظلّ كما هو، غير أنه سيضاف إليه حقائق علمية المتعلقة بها في ضوء التفسير العلمي لهذه الآيات، وبهذا تتسع دائرة فهم القرآن.

يقول الشيخ الشعراوي عند بيان مصطلح الآية وأنواعها: "إذن فالآيات هي الأمور العجيبة، وهي قسمان: منظور ومقروء، المنظور: كلّ الكون، والمقروء: هو القرآن، فالقرآن يفسّر آيات الكون، وآيات الكون تفسّر آيات القرآن، .... لقد جاء الرسول بآيات مقروءة ليلفت الناس إلى الآيات المنظورة، وبتلك الآيات المنظورة يكون العجب من دقة خلق الكون؛ فينتهي الإنسان إلى الإيمان بِمَن خلق هذا الكون"(84).

استقرار الإيمان وترسّخ العقيدة:

الإيمان يكون في حاجة دوما إلى استقرار في القلب كي تترسّخ عظمة الإله فيه، ومن وسائل هذا الاستقرار آيات كونية يتبصّر بها القلب، ويزداد إيمانا.

والحقائق في سائر أصناف المخلوقات أدلّة آفاقية دالّة على خالقية الله، وعلى كماله في صفاته، وأنها آيات للعالِمين، وفي هذه الآيات الحثّ على التفكّر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل (85).

82- ابن عاشور، التحرير والتنوير 48/20.

83- تفسير الشعراوي ص 2506.

84- تفسير الشعراوي ص 1263.

85- تلخيصا من تفسير السعدي ص 358.

قال الشيخ الشعراوي عند قوله تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [86]: "إن الإيمان يحتاج إلى استقبال آيات كونية بالبصر، وبعد أن تستقبل الآيات الدالة على عظمة الإله تؤمن به، ويستقرّ الإيمان في فؤادك. وسبحانه يوضّح لنا أنه يقلّب أفئدتهم وأبصارهم، هل يبصرون باعتبار واقتناع؟" [87].

نتائج البحث:

يُوصل هذا البحث إلى النتائج التالية:

- يُقصد بالإعجاز العلمي معنيين؛ عام وخاص، فالعام هو بيان الحقائق الحديثة، ويدخل فيه الحِكَم والمعاني والجانب العقلي، أمّا الخاص فهو مقصور بالجانب العلمي التجريبي فقط.
- تتنوّع مجالات كونية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ منها علوي سماوي، ومنها جوّي بما فيه من الطير والسحاب والمطر، وأرضي يتضمّن البحار والجبال والحيوان والنبات، ونفسي يشمل الإنسان.
- وتتمثّل مظاهر هذا الإعجاز في خلق أمور كونية، والنظام الموجود فيها، وما فيه من الاختلاف في هذه الأمور، والتغير فيها، وما تتضمّن من المنافع فيها.
- ويرمي لإعجاز العلمي في القرآن إلى أهداف دعوية؛ أولها: التأمّل والتفكّر في الخلق، والثاني: الاستدلال على الخالق ومعرفة الله، والثالث: الاتعاظ والاستبصار على الآخرة، والرابع: الهداية وإقامة الحجة على الناس.
- وثمرات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تبرُز في التوسع في فهم آياتها، واستقرار الإيمان وترسيخ العقيدة بها، واستمرار الإعجاز القرآني بمعجزاتها، وإعمال الفكر في معطيات الكون للثقافة، واعتبار المؤمن العارف بأنظمتها.

86- الأنعام: 110.

87- تفسير الشعراوي ص 2690